مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 10 عدد: 5 السنة: 2021
ص: 609 - 622 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

الشخصيات المرجعية في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر

The reference characters in the novel, Houba wa rihlet el bahth ani Al Mahdi Al montadhar

نبيلة عطية[1]*، نزيهةزاغز[2]

Nabila atia[1], naziha zaghez[2]

مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها

جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)

Mohamed kheidre university of biskra

Na.atia@univ-biskra.dz[1] chahrazadal_ahmadi@yahoo.fr[2]

تاريخ الإرسال:2020/11/08	تاريخ القبول:2021/05/23	تاريخ النشر : 2021/12/25

ملخص البحث

يبنى النص الروائي على مجموعة من العناصر التي تُسهم إلى حد كبير في سيرورته واكتماله كالزمان والمكان والشخصية، هذه الأخيرة التي تعد مكونا أساسيا للنص الروائي و أصبحت محط اهتمام في الكثير من الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة مثل النظريات السيميائية الحديثة التي اهتمت بهذا المكون السردي وعملت على تحليله.

لهذا ارتأينا أن تكون محور دراستنا في إحدى روايات الأديب عز الدين جلاوجي (حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر) هذه الرواية التي حفلت بالكثير من الشخصيات التي حملت في ثناياها تاريخ الجزائر العظيم إبان الاستعمار الفرنسي،لتكون إشكالية البحث مفادها:

ما الشخصية؟ وكيف تناولتها الدراسات الحديثة؟وكيف يمكننا دراسة شخصيات (حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر) وفق منهج فليب هامون

الكلمات المفتاح : شخصية، مرجعية، رواية، تاريخية، فليب هامون.

Abstract :

The narrative text is based on a series of elements, that contribute to a great extent to its process and completeness, such as time, place and character, the latter is an essential element of the narrative text, and has become a center for attention of many literary studies and modern critics, such as the modern semiotic theories, that have treated this narrative component and analyzed it. That's why we thought our study should focus on one of Azzeddine Jalawaji's (Houba wa rihlet el bahth ani Al Mahdi Al montadhar) novels, a novel with many characters, that brought

* نبيلة عطية na.atia@univ-biskra.dz

history of Greater Algeria during French colonialism. To be characters with multiple references, the author wanted to send us the story with all its coordinates. The novel is a great historical epic intertwined with history and imagination in which the novelist has worked on the convergence of the historical reference with the narrative imaginary to give it an innovative character.So the research problem is as follows:

What is the character? How did modern studies approach it? And how can we study the characters in (Houba warihlet el bahth ani El Mahdi Almontadhar), according to Philippe Hammon.

Keywords: character ,reference ,historical ,novel ,philip hammon

تمهيد:

تعد الشخصية من أهم العناصر وأبرزها في بناء النص الروائي،إذ أنها تعد همزة وصل ورابط بين باقي العناصر السردية، فهي تمثل العنصر المحوري والركيزة الأساسية للعمل الروائي حيث أنها تقوم بإنجاز الأفعال وتتفاعل مع باقي العناصر السردية فتسهم في بناء الحدث الذي لا يمكن أن يحبك دون شخصيات تضطلع بأداء الأدوار والشخصية هي عبارة عن«أحجار شطرنج استخدمها الكاتب في لعبته الفكرية – الفنية إنها لا تستطيع أن تتحرك أو تتنفس إلا وفقا لرعايته، هو الذي رسم لها قانونها الأخلاقي ويملي عليها التصرف ضمن مضمونها الخاص للخطأ والصواب»[1]

والشخصية لا يمكن أن تتكون إلا برعاية كاتبها الذي يُنجز لها إطارا معينا تكتمل فيه ويطوقها بمجموعة من القوانين التي تخضع لها فيكون اكتمالها وتحركها داخل العمل الفني بإشراف من الكاتب الذي يعتبر الراعي لها، فتكون بذلك جزء من عملية فكرية فنية لتقوم بالتعبير عن أفكاره ووجهات نظره من خلال أفعالها التي تعتبر رسالة يسعى لإيصالها أو هدفا يتطلع لتحقيقه.

وللتعمق في مفهوم الشخصية علينا الاقتراب من أهم الآراء النقدية التي تطرقت إليها من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية.

أولا. مفهوم الشخصية

1- **لغة:** جاء في لسان العرب: شخص الشخص جماعة شخص الإنسان وغيره مذكر والجمع أشخاص وشخوص وشخاص...الشخص له جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات فاستعير لها لفظ الشخص»[2]

أما في المعجم الوسيط فقد جاء تعريفها بأنها«الصفات التي يتميز بها الشخص عن غيره ويقال فلان ذو شخصية قوية وذو صفات متميزة و إرادة وكيان مستقل»[3]

وفي معجم المصطلح السردي فهي«كائن موهوب بصفات بشرية وملتزم بأحداث بشرية ممثل متسم بصفات بشرية والشخصيات يمكن أن تكون مهمة أو أقل أهمية وفقا لأهمية النص، فعَالة حين تخضع للتغيير، مستقرة حينما لا يكون هناك تناقض في صفاتها وأفعالها،أ مضطربة وسطحية بسيطة لها بعد واحد فحسب، وسمات قليلة، ويمكن التنبؤ بسلوكها أو عميقة معقدة لها أبعاد عديدة»[4]

هكذا جاء مفهوم الشخصية من الناحية اللغوية، يدور حول صفات الإنسان لا تتعدى كونها مؤشرا يدل على الحالة التي يكون فيها الإنسان ضمن وضعية معينة، فيتم بذلك التنبؤ بحالة ذلك الشخص وفقا لبساطة الشخصية أو تعقيدها، لتكوِن لدينا انطباعا كاملا عن النص.

2.اصطلاحا:

يختلف مفهوم الشخصية في الاصطلاح من ناقد إلى آخر كل تناولها حسب مرجعياته الفكرية و مشاربه الثقافية ولكل دافعه الفكري في موقفه.

فالشخصية هي كلمة تقابلها في اللاتينية (personality) وهي مأخوذه من «(person) ومعناها القناع أي الوجه المستعار الذي يضعه الممثل على وجهه من أجل التنكر وعدم معرفته من قبل الآخرين ولكي يمثل دوره بالمطلوب في المسرحية فيما بعد»[5]

وهناك من النقاد من ينظر إلى الشخصية على أنها «الفرد كما يبدو للآخرين وليس ما هو عليه الفرد في الحقيقة، وهي بهذا ترتبط بالممثل نفسه أو الصفات التي تشير إلى المكانة والتقدير والأهمية الذاتية»[6]

أما السيميائيين فنجدهم يفرقون بين الشخص والشخصية، حيث ينظرون إلى الشخص على أنه«كائن حي له إحالة ودلالة في الواقع، أما الشخصية فهي ما يحمله الشخص من تخيل وتصور عن طبيعة الشخصية التي يناط بها دور من الأدوار في القصة»[7]

والشخصية عموما لا يمكن النظر إليها «من وجهة التحليل البنائي المعاصر على أنها بمثابة دليل(signifie)، وتكون الشخصية بمثابة دال من حيث أنها تتخذ عدة أسماء وصفات تلخص هويتها، أما الشخصية كمدلول فهي مجموع ما يقال عنها بواسطة جمل متفرقة في النص أو بواسطة تصريحاتها وأقوالها، وبالتالي لا تكتمل صورتها إلا باكتمال النص»[8]

أما عند فليب هامون فالشخصية مقسمة إلى ثلاث فئات انطلاقا من«علامات تحيل على مرجع، العلامات التي تحيل على محفل الملفوظية والعلامات التي تحيل على علامة منفصلة عن نفس الملفوظ أي العلامات الرابطة»[9]

والفئات التي قسمها فليب هامون هي:

1- فئة الشخصيات المرجعية:وهي الشخصيات التاريخية، الأسطورية والشخصيات المجازية(الحب، الكراهية...)، شخصيات اجتماعية تحيل كلها على معنى ممتلئ وثابت حددته ثقافة ما[10]

2- فئة الشخصيات الإشارية (الواصلة) هي دليل حضور المؤلف أو ينوب عنها في النص [11]

3- فئة الشخصيات الاستذكارية: تقوم داخل الملفوظ بنسج شبكة من التداعيات والتذكير بأجزاء ملفوظة... إنها شخصيات للتبشير فهي تقوم ببذر أو تأويل الأمارات[12]

انطلاقا من هذا التقسيم الذي أعطاه فليب هامون للشخصية سنحاول دراسة الشخصية المرجعية في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر والتي شملت بشخصياتها التاريخي والأسطوري والاجتماعي.

ثانيا: الشخصيات المرجعية

1. الشخصيات التاريخية

حفلت رواية حوبة بالكثير من الشخصيات التاريخية التي نقشت اسمها في التاريخ الجزائري بماء الذهب انطلاقا من مواقفها إبان الاحتلال الفرنسي، والشخصية التاريخية لا ينحصر توظيفها على الجانب الدلالي فقط بل إن توظيفها واستدعائها في الرواية يُسهم بشكل كبير في بناء الجانب الجمالي.

ومن الشخصيات التاريخية التي نجد لها حضورا بارزا في الرواية:

أ.العلامة عبد الحميد بن باديس:

هذه الشخصية الفذة التي نقشت اسمها في تاريخ الجزائر كان لها دورا بارزا في الحفاظ على مقومات الدولة الجزائرية، فقد كان ابن باديس قائدا وإماما وخطيبا، عمل على الحفاظ على الهوية الوطنية والإسلامية وقد ظهرت شخصية ابن باديس في الرواية من خلال حرصه على ممارسة عمله في توعية الشعب الجزائري واستنكاره للأفعال الإجرامية التي كان يتبعها الاحتلال في حق الشعب الجزائري حيث يظهر موقفه جليا في المقطع الآتي «لقد ألقى عبد الحميد بن باديس خطبة نارية في نادي الترقي منددا

بجريمة غلق المساجد والمدارس، فتحرك النواب فرفضوا جريمة الغلق وتوجه وفد منهم إلى باريس لمقابلة شوطان chouten وزير الداخلية»[13]

فشخصية الإمام عبد الحميد بن باديس من الشخصيات التاريخية التي كانت رافضة رفضا تاما للتواجد الفرنسي على أرض الجزائر، منددا بسياسته الغاشمة وقوانينه القمعية في حق الشعب الجزائري ويظهر ذلك في كل خطاباته التي كان يلقيها على مسامع الشعب والاجتماعات السرية التي كان يعقدها مع كبار القادة الجزائريين ليقول لهم«نحن لسنا فرنسا ولا يمكن أن نكون فرنسا ولو أراد بعضكم»[14]

لقد كان استلهام الروائي لشخصية عبد الحميد بن باديس من خلال أفكاره وأفعاله التي عارض بها السياسة الفرنسية وسيلة لاستحضار تاريخ الجزائر المجيد و التذكير بمواقف أبنائها الأبطال مثل ابن باديس الذي يعد رمزا للقائد الفذ والمجاهد الصنديد، فقد كان رجل التاريخ الذي نقش اسمه في ذاكرة كل جزائري، وقد جاءت هذه الرواية لتكون مرجعا نستحضر من خلاله تاريخ الجزائر ومواقف أبنائها وتحكي عن ابن باديس الذي جاهد بفكره عن طرق توعية الشعب وتغذيته فكريا كي لا ينقاد وراء فرنسا ويصدق كلامها ووعودها الواهية و حتى يستطيع المحافظة على هويته وانتمائه ويحارب فرنسا بعقل مثقف وواع لا بعقل جاهل.

ب– فرحات عباس:

شخصية أخرى ظهرت في الرواية واتخذت موقفا آخر إزاء الاستعمار الفرنسي وهي شخصية فرحات عباس حيث يعتبر من الشخصيات التي كان حضورا لافتا للانتباه في تاريخ الجزائر فقد كان موقفه من القضية الجزائرية أنه دعا إلى الإدماج والمساواة، فهو يرى أن دمج الشعب الجزائري مع الشعب الفرنسي هو الحل الأمثل ليعيش الشعب الجزائري في سلام، وقد ظهر ذلك في خطاباته ومما قال «نحن سنطالب بالجنسية والاندماج ونأخذ حقوقنا بالتساوي مع الفرنسيين واليهود»[15]

وفي خطاب آخر تظهر دعوته إلى المساواة «إنني أحلم أن نعيش أخوة في هذا الوطن... ومدينة واحدة تضم اليهود والنصارى والمسلمين»[16]

فهو يرى في الدولة الفرنسية الحضارة والازدهار اللذان يفتقد إليهما الشعب الجزائري، وعليه يجب أن يواكب التطور ويندمج مع الشعب الفرنسي، كما يجب على الشعب الجزائري أن ينظر إلى الجانب الإيجابي من الاستعمار ويستغل هذه الفرصة التي ستأخذه نحو التقدم ولا ضير في أن يكون فرنسيا مسلما حيث

يقول«لقد بحثت في القرآن الذي هو كتابنا ودستورنا الغالي، فلم أجد ما يمنع أن أكون مسلما فرنسيا أنعم بالحضارة»[17]

انطلاقا مما سبق يتضح لنا أن شخصية فرحات عباس من الشخصيات التي ترى في الاستعمار أصل الحضارة والرقي وعاملا من عوامل التطور وأن كل محاولة لمقاومة هذا الاستعمار ما هي إلا خطوة يرجعون بها إلى الخلف وليست في صالحهم، فقد كان ينصح الشعب بعدم الثورة والنهوض في وجه فرنسا مذكرا بالثورات السابقة وصفا إياها بالفاشلة وإنهم لم يجنوا منها إلى الخيبات والانكسارات.

إضافة إلى مواقف فرحات عباس السابقة هناك موقف آخر ظهر في مقال نشر في إحدى الجرائد حيث يقول فيه«فرنسا هي أنا...لو اكتشفت وجود أمة لمنت وطنيا، إنني لست مستعدا أن أموت من أجل وطن جزائري لأن الوطن لا وجود له، فقد بحثت عنه في التاريخ ولم أجده»[18]

هكذا إذن جاءت شخصية فرحات عباس داعمة ومؤيدة للوجود الفرنسي في أرض الجزائر، فقد كانت رحلته هي رحلة البحث عن الهوية الفرنسية والاندماج مع المجتمع الفرنسي، وقد حاول الروائي من خلال توظيفه لهذه الشخصية التي «نؤشر عليها بأنها ذات مرجعية واقعية تاريخية »[19]أن يعيد استحضار التاريخ من خلال حضور بعض الشخصيات التي كان لها دور فعال وبارز في تاريخ الجزائر، كما أراد أن يوضح تلك الخلفية والرؤية التي تبنتها هذه الشخصيات إزاء الوجود الفرنسي في الجزائر.

2- الشخصيات الثقافية

جاءت في الرواية ذكر بعض الشخصيات الثقافية التي ساهمت هي الأخرى في الدفاع عن أرض الوطن، ووقفت ضد المستعمر الفرنسي فكان نضالها فكريا يعتمد على الفكر والقلم في توعية العقل الجزائري وإخراجه من غيابات الجب الذي ألقاه فيه الاستعمار الفرنسي بسياسته الغاشمة، فقد كان النضال الفكري جنبا إلى جنب مع النضال العسكري، ومن الشخصيات التي تم استدعاؤها في الرواية نجد:

أ-الشاعر مفدي زكريا

يلقب بشاعر الثورة، هو كاتب النشيد الوطني وهو شخصية ثقافية سجلت اسمها في تاريخ الجزائر بحروف من دم من خلال موقفه وروحه الثورية إضافة إلى أشعاره وقصائده التي كان يكتبها ليقوي بها عزيمة الشعب الجزائري ويشد بها من إزره مثل نشيد النجم الذي كتبه وهو داخل أحد سجون فرنسا قائلا:

فداء الجزائر روحي ومالي ألا في سبيلِ الحرية

فليحيا حزب الاستقلال ونَجم شمال إفريقية
ولتحيا الجزائر مثل الهلال ولتحيا فيها العربية[20]

فمثل هذا الكلام كان بمثابة السكينة والأمل يصب في قلوب الجزائريين فتندفع نفوسهم ويزيد فيهم حب الوطن خاصة أن هناك فئة مثقفة تساندهم من داخل السجون ولا يتوقف موقف الشاعر هنا بل يتواصل النضال الفكري والجهاد بالقلم ليكتب أبياتا أخرى ف سجن الاستعمار بعد ما ألقي عليه القبض رفقة مصالي الحاج ومجموعة أخرى وزُج بهم في زنزانة رقم 65 يوم 26 نوفمبر 1973 حيث يقول:

اعصفي يا رياح واقصفي يا رعود
واثخني يا جراح واحدقي يا قيود
نحن قوم أباة
ليس فينا جبان
قد سئمنا الحياة
في الشقا والهوان
لا نمل الكفاح لا نمل الجهاد
في سبيل البلاد[21]

فبهذه الأبيات كان الشاعر يُظهر للاستعمار الفرنسي مدى قوة الشعب الجزائري وحرصه على الاحتفاظ بهويته ووطنه واستعداده للموت في سبيل الوطن، وقد سعى الروائي إلى إبراز دور مفدي زكريا في محاربة الاستعمار الفرنسي من خلال الكلمة التي اعتبرها سلاحا لاسترجاع الوطن والهوية التي لطالما حاول الاستعمار الفرنسي طمسها في ظل قراراته التعسفية فكان التصدي له بالقلم مثل التصدي بالسلاح فكل رصاصة كانت تُطلق من أعالي الجبال أو من وسط الأحياء كانت تتبعها كلمة أشد وقعا وصرامة على قلوب الفرنسيين، وكان مفدي زكريا واحدا من الشعراء الوطنيين الذين استعملوا الكلمة سلاحا في مواجهة الاستعمار.

ب– محمد العيد آل خليفة

شخصية أخرى ذات مرجعية ثقافية ظهرت في الرواية وكانت مساهمة في الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي عن طريق نشر الوعي، وقد برز محمد العيد آل خليفة في الرواية بشعره الوطني الداعي إلى مساندة

القضية الجزائرية وهذا ما توضحه إحدى أشعاره التي كان يأمل من خلالها أن يعود لكل ذي حق حقه بعد أن أصبح الحكم للاتجاه اليساري في فرنسا

فيقول:

فاز فيك اليسار فاليوم أعسر أليس اليسار فالا حميدا

يا فرنسا ردي الحقوق علينا وأقلي الأذى وكفي الوعيدا

نحن رغم الطغاة في الدين أحرا ر وإن خالنا الطغاة عبيدا[22]

هذه الأبيات تبرز روح الأمل في إرجاع فرنسا حقوق الشعب الجزائري، فظهر وهو يمدح الجبهة في الشعبية اليسارية آملا أن تتفهم الوضع الجزائري ومدى الأذى الذي عانى منه من السياسة الفرنسية الظالمة.

3- شخصيات أسطورية

ظهر هذا النوع من الشخصيات في الرواية مع شخصية واحدة وظفها الكاتب كمحرك أساسي للأحداث وقد تقمصت دور الراوي وهي شخصية حوبة التي أخذت دور السارد، حبيبة الكاتب التي تقص عليه تاريخ بلاده ومآثر أبنائها وبطولاتهم التي خاضوها ضد الاستعمار الفرنسي وقد جعل الكاتب لحوبة صفات تقاطعت مع شهرزاد بطلة حكايات ألف ليلة وليلة فكانت حوبة بمثابة شهرزاد التي تسرد للملك شهريار الحكايات والأحداث بتمامها وكمالها، فكما كانت شهرزاد تمتع شهريار بحكاياتها التي تنسجها كل ليلة من خيالها كانت حوبة تفعل ذات الشيء إلا أن حكايات حوبة كانت تنسجها من ذاكرة التاريخ « حوبة هي شهرزادي التي ظلت مدى السنوات الطوال تزرع نفسي القاحلة بحكاياتها الجميلة فتحيل صحرائي إلى جنتين من أحلام وآمال، وإن تكن هي شهرزادي فأنا لست شهريارها لأني كنت أمامها مثل الطفل الوديع الذي ينام حالما بمجرد أن تدغدغ الحكاية أحلامه الصغيرة »[23]

كانت حوبة في نظر الكاتب هي شهرزاده التي تطوقه وتشغله بحكاياتها التي كانت تعبر عن تاريخ أمة كتبت تاريخها بدماء أبنائها وحفرت اسمها في التاريخ كما حفرت قبورهم في الأرض ونقشت بطولاتهم في الذاكرة، فكانت حوبة هي الذاكرة بالنسبة للروائي «ما أحلى أن أجلس إلى حوبة حبيبتي الساعات والأيام والسنوات لأسمع منها حكاياتها لتطوع علي عبقا وسنا... وانهمرت تحكي... كما حكت جدتها شهرزاد في سالف العصر والأوان مستفتحة بقولها: بلغني أيها الحبيب السعيد ذو العقل الرشيد أنه...»[24]

هكذا كانت حوبة تحكي متأثرة بجدتها شهرزاد تستفتح حكاياتها وتنهمر تحكي وهو يستمع إليها بكل حب ووداعة،فتدغدغ بحكاياتها مشاعره فتوقظ فيه ذلك الطفل النائم، فحكايات حوبة كانت بعثا للحياة و بعثا للتاريخ، فحوبة هي الأرض التي أخرجت أثقالها أمام من يستمع لها بحب واهتمام فهي حين تحكي تكون بمثابة التقاء زمنين في نقطة واحدة.

4- شخصيات اجتماعية

هذا النوع من الشخصيات يحيل على«نماذج أو طبقات اجتماعية أو فئات مهنية وأفعالها مستقاة من مجتمع له وجود حقيقي فهي محيلة في بعض جوانبها عليه ومتنزلة فيه»[25] (عز الدين جلاوجي،2012)

وقد طهر هذا النوع من الشخصيات في رواية (حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر) من نسج خيال الكاتب ليعكس أو يصور من خلالها الواقع المعيش في فترة الاستعمار وحاول أن يضعها في قالب روائي تتشارك فيه الأحداث مع باقي الفئات الأخرى، فكان لبعضها دور بارز أراد من خلاله إيصال رسالة أو إظهار موقف ما، فكانت بذلك الوسيلة التي قام من خلالها الكاتب بتعرية ما خفي من التاريخ فأسند لها أدوارا متعددة لتكون طرفا مساعدا في بناء وعرض الأحداث ومن بين هذه الشخصيات نجد:

أ- العربي الموستاش

تعد شخصية العربي من الشخصيات الرئيسة في الرواية، هو أحد أبناء عرش أولاد سيدي علي يسعى لأخذ ثأر أبيه الذي قُتل على يد أحد أولاد عرش النش، كم يحلم العربي بالزواج من حمامة بنت لكحل التي شغفته حبا حتى صار يقول فيها الأبيات والقصائد وهذه إحدى الأبيات التي وصف بها حبيبته وهو مقطع مأخوذ من قصيدة حيزية لابن قيطون:

خدها ورد الصباح
واقرنفل وضاح
الدم عليه ساح
وقت الضحويا[26]

كان العربي«ممتد القامة أميل إلى النحافة، أسمر اللون، حاد الأنف، أسود العينين، رقيق الشفتين، كث الشارب، يفضل العزلة، ويقوم بطقوس غريبة حتى سُميَ العربي المقرون»[27].

العربي المقرون هو لقب لطالما كني به لتصرفاته الغريبة التي كان يقوم بها، كان جل اهتمامه أخذ ثأر أبيه والزواج من حمامة الأمر الذي اضطره لاختطافها والهرب معها إلى مدينة سطيف، هذه المدينة التي

أصبحت نقطة تحول في حياة العربي، حيث تعرف فيها على رجل يدعى السي رابح الذي كان كان بمثابة المنقذ لهما فقدم لهما المساعدة وأطلق عليه كنية جديدة ليتحول بذلك من العربي المقرون إلى (العربي الموستاش) «يا العربي الموستاش ما خيبت أبدا شخصا قصد بابي، ولن أخيبك أبدا من الغد سأتعاون معك وأبني لك بيتا بجواري، اسكن فيه لوجه الله تعالى وسنقيم لك ولحمامة عرسا بهيجا، أعرف أنك رجل شريف لا تقبل ضيما فأنا أحب الشرفاء أمثالك»[28]

وبعد أن استقرت أوضاع العربي الموستاش في مدينة سطيف بدأ يهتم بالقضية الجزائري ويتابع تطوراتها ويشارك في محاربة الاستعمار، لتتغير بعد ذلك حياته من رعي الغنم إلي رعاية شؤون البلاد والاهتمام بقضية وطنه المصيرية رفقة نخبة من المثقفين والمفكرين حتى أصبح يحضر المؤتمرات التي كانت تُعقد للنظر في طلبات الشعب والتي كانت بالنسبة له ليست إلا مؤتمرات عار حيث يظهر موقفه واضحا في قوله لأحد أصدقائه «ليتني لم أذهب إلى مؤتمر العار لست من الآن إلا مصاليا لقد كفرت بكل الزعامات»[29]

فحبه الشديد لوطنه ورغبته في استرجاع سيادتها وحريتها جعلاه يدرك أن ما أخذ بالقوة لا يُسترجع إلا بالقوة وما هذه المؤتمرات إلا سياسة تضليل يتبعها الخونة والقياد

هذه هي شخصية العربي الموستاش التي أبت إلا أن تغيير البلاد نحو الأفضل، فكما حارب من أجل حبه وغير من نفسه يسعى بكل ما أوتي من قوة أن يغير البلاد ويرد إليها حريتها وانتمائها الذي يسعى الغرب إلى طمسه ومحو أثره.

ب– السي رابح

كان ظهور شخصية السي رابح في الرواية كمساعد للعربي الموستاش وإخراجه من محنته والأخذ بيده إلى بر الأمان بعد أن هرب بحمامة من عرش أولاد النش، ثم تحول هدفه إلى محاربة الاستعمار ومساعدة شعبه ووطنه فكان يمارس نشاطه السياسي مع عديد من الجمعيات التي تسعى إلى إثبات الهوية الجزائرية من خلال بعض النشاطات التي من شأنها أن تنهض بالجزائر شعبا ودولة، إضافة إلى لقاءاته مع كبار الشخصيات في الثقافية والسياسية ويظهر ذلك في قوله«لقد التقيت مرارا بالشيخين ابن باديس والإبراهيمي حلمهما تعليم الناس لغتهم ودينهم»[30]

يظهر هنا اهتمام السي رابح بشؤون بلاده من خلال التقائه بأهم الأعلام الثقافية في البلاد التي تسعى إلى إعادة بعث مجد الهوية الجزائرية واللغة العربية، إضافة إلى مشاركته واهتمامه بإنشاء الأحزاب والجمعيات كتأسيس حزب الشعب الجزائري حيث جاء في حديث له وهو يحاول أن يشرح للبعض ماهية

هذا الحزب ليبدد عنهم كل حيرة حوله «ليس حزبا جديدا كما تظنون، بل هو استمرار لنجم شمال افريقيا الذي حلته فرنسا منذ سنوات وسيحتفظ الحزب بجريدة الأمة التي تصدر بالفرنسية من باريس وأضاف إليها جريدة الشعب تصدر في الجزائر بالعربية أسند الإشراف عليها إلى مفدي زكريا»[31]

هكذا ظهرت شخصية السي رابح مناضلة ومجاهدة في سبيل تحرير البلاد والسعي إلى تطهير أرضها من المتطفلين عليها، فظهر هذا من خلال اهتمامه بالأمور السياسية واطلاعه على كل شاردة وواردة تخص بلاده وشعبه،فكانت شخصية السي رابح شخصية اجتماعية لها أبعادا سياسية لتكون بذلك متعددة الأبعاد والاهتمامات.

ج- حسان بلخيرد

شخصية حساد بلخيرد من طبقة اجتماعية بسيطة يسعى هو الأخر إلى تحرير بلاده عن طريق المشاركة في بعض الأعمال ضد الاستعمار، يعمل على نشر الوعي بين الشعب الجزائري فهو يؤمن بأن الجهل في بلادك يجعلك غريبا، يسعى إلى تحرير العقل قبل تحرير الأرض وذلك بالانسلاخ من الفكر الفرنسي الذي نُشر وسط الشعب الجزائري فكانت فكرته بإنشاء كشافة جزائرية ذات مبادئ وقواعد إسلامية حيث دعا إلى ذلك في إحدى اللقاءات مع شخصيات مهمة«أعتقد أيها الإخوان أنه حان الوقت لننفصل عن الكشافة الفرنسية وأن تكون لنا كشافتنا على مبادئنا العربية الإسلامية، سنبدأ من هنا من سطيف من هذه المدينة المكابرة وقد بدأ إخوان لنا في مدن أخرى»[32]

كما يظهر اهتمامه وحرصه على آخر المستجدات التي تساعد على إنشاء دولة جزائرية مستقلة تماما عن الاستعمال الفرنسي «أيها الإخوان وصلني نشيد النجم كتبه شاعرنا مفدي زكريا»[33]

ولم يتوقف حسان بلخيرد عند هذا الحد بل امتد إلى إنشاء جمعيات لتقوية النضال الثقافي ولكي يفتح عدة جبهات على الاستعمار الفرنسي«ففي نادي الشباب جلس حسان بلخيرد يطرح على يوسف الروج وسي رابح فكرة تأسيس شعبة جمعية العلماء بسطيف مؤكدا أنها ستكون لبنة أخرى في صرح الوطن الذي يجب أن يعلو ويسمو سامقا يبلغ وهج الشمس»[34] هكذا ظهرت شخصية حسان بلخيرد رغم أنها شخصية بسيطة ومن طبقة اجتماعية عادية وليس له مكانة لا في السياسة ولا في الدولة إلا أنه أبى إلا أن يساعد في تحرير بلاده ولو بأبسط النشاطات أو بإعطاء فكرة أو رأي قد يغير اتجاه البلاد نحو الأفضل، فسعى إلى غسل العقل الجزائري من الثقافة الفرنسية التي غُرست فيه رغما عنه.

كانت هذه هي الشخصيات الاجتماعية التي وظفها الروائي من بنات خياله، فكانت طرفا مساعدا في حبك الأحداث،وما يميز كل الشخصيات التي ظهرت في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر أنها ذات اهتمام بأمور الوطن وتسعى إلى تحرير بلادها فكل الفئات التي ظهرت في الرواية كانت تساعد وتجاهد ولو بأضعف الإيمان فكان الرابط أو الميزة المشتركة بينها هو القضية الجزائرية فكل له يد في دعمها ولو من بعيد.

خاتمة

إن توظيف الشخصيات بهذه الطريقة يعمل على إنشاء مشروع روائي متكامل نابع من قدرة الكاتب ومن تحرره الفكري فتسهم في تفعيل الأحداث،إضافة إلى أن ميزة الرواية التاريخية هو الجمع بين ما هو تاريخي وما هو متخيل «فهذه الشخصيات لا تحدها مرجعية ولا تقييدها نصوص التاريخ القديمة،فهي ليست وليدتهم، إنها وليدة تمازج الأفكار وتبلورها على نحو خاص»[35]، وعليه يمكننا يمكننا القول أنه من خلال دراستنا لرواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر خرجنا ببعض النتائج أبرزها:

- أن الشخصيات المرجعية التي تم توظيفها من طرف الكاتب قد تراوحت بين الحقيقة والخيال وهذا ما ساعد على إثراء النص الروائي وإعطائه طابع الرواية التاريخية التي يمتزج فيها الحقيقة والخيال.
- كما العمل على توظيف هذه الشخصيات لم يكن من باب العبث أو الصدفة بل هو راجع إلى قدرة الكاتب الفكرية في طريقة توظيف آليات النص السردي.
- تمكن الكاتب من استلهام التاريخي والتراثي وتوظيفهما في الرواية مكن من تحميل النص للنزعة الوطنية وحب الوطن.
- كما أن هذا التوظيف المتعدد للشخصيات نتج عنه تعدد في المرجعيات وهو ما أعطى صورة عن طبقات المجتمع الجزائري وقت الاستعمار الفرنسي كما دل على تعدد ثقافة الكاتب وعلمه بتاريخ وحيثيات مجتمعه.

هوامش

[1]– الأعرج واسيني: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،1986، ص87.

[2]–أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الافريقي المهري،لسان العرب المجلد الثاني، دارصادر، لبنان ،1992 ،ص203.

[3]– إبراهيم مصطفى وآخرون:المعجم الوسيط، ج1، دار العودة، ، دس، ص475.

[4]- جيرالد برنس:المصطلح السردي، ، المجلس الأعلى للثقافة،2003، ص42.

[5]–علي عبد الرحمن فتح:تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل،مجلة الآداب،جامعة صلاح الدين،العدد،102،2012،ص40.

[6]– سيد محمد غنيم: سيكولوجية الشخصية،دار المعارف، دط،دت، ص05.

[7]– هيام عبد الكاظم إبراهيم:الشخصية في قصص وروايات غسان كنفاني،مجلة كلية الآداب والتربية،العدد 11،جامعة القادسية، دت، ص94.

[8]– حميد لحميداني:بنية النص السردي، المركز الطباعي الثقافي العربي للطباعة والنشر،1991،ص51.

[9]– فيليب هامون:سميولوجيا الشخصيات الروائية، ، دار كرم الله للنشر والتوزيع، 2012،ص8.

[10]– المرجع نفسه: ص24.

[11]– المرجع نفسه: ص نفسها.

[12]– المرجع نفسه: ص31.

[13]– عز الدين جلاوجي: رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر،دار الروائع للنشر والتوزيع، سطيف،2012،ص 413.

[14]– المرجع السابق: ص363.

[15]– المرجع نفسه: ص432.

[16]– المرجع السابق: ص440.

[17]– المرجع السابق: ص441.

[18]– المرجع السابق:487.

[19]- سعيد جبار:الخبر في السرد العربي(الثوابت والمتغيرات)،المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب،2004،ص199.

[20]– الرواية:ص462.

[21]– الرواية: ص479.

[22]– الرواية:466 .

[23]– الرواية:ص11.

[24]– الرواية: ص12–13.

[25]- جويدة حماش: بناء الشخصية في رواية عبدو الجماجم لمصطفى الفاسي(مقابرة في السرديات)،أطروحة ماجستير،كلية الأداب واللغات،الجزائر،2003،ص68.

[26]– الرواية:ص 20.

[27]– الرواية،ص60.

[28]– الرواية:157.

[29]– الرواية:ص456.

[30]– الرواية:ص349.

[31]– الرواية:ص349.

[32]– الرواية:ص459.

[33]– الرواية:ص461

[34]– الرواية:462

[35]–سعيد جبار:الخبر في السرد العربي(الثوابت والمتغيرات) ،ص199.